مدرسة الإسكندرية

الرشيد أبو الخير بن الطيب وكتاباته (١)

الأخ وديع الفرنسيسكاني

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الرابع - ٢٠١٠

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٤

الرشيد أبو الخير بن الطيب وكتاباته (١)

الأخ وديع الفرنسيسكاني

الرشيد أبو الخير بن الطيب وكتابته (١)

الأخ وديع الفرنسيسكانيّ

(١) مصادر ومراجع الدراسة

١ في موسوعته العقائديّة «مجموع أُصول الدين ومسموع محصول اليقين»، يخصّص المؤتمن بن العسّال (توفّى في النصف الثاني من القرن الثالث عشر) الباب الأوّل لأسماء الكُتّاب، الذين يعتمد عليهم في مؤلَّفه. من الكُتّاب الأقباط (الأرقام ١٠ ـ ١٣، في نشرتنا[١]) يذكر عدّة أسماء، ليس بينها اسم الرشيد أبي الخير بن الطيّب[٢]. ويجب أن يعني هذا أنّ المؤتمن لم يعرف، ولم يستعمل كتابات الرشيد.

٢ ولكن واقع الأمر بخلاف ذلك، لأنّ المؤتمن عرف الرشيد، واستعمل إحدى كتاباته، في الباب السادس والخمسين من مصنَّفه[٣]، وهي مقالة الردّ على القائلين بالقضاء والقدر. ويقدّم المؤتمن المقالة بهذه الكلمات: «وللقسّ

---

[١] المؤتمن بن العسّال، «مجموع أُصول الدين ومسموع محصول اليقين» (دراسات شرقيّة مسيحيّة، أبحاث مفردة، ٦)، المجلّد الأوّل: المقدّمة والأبواب التسعة عشر الأولى. تحقيق الأخ وديع الفرنسيسكانيّ، القاهرة–القدس، مؤلّفات المركز الفرنسيسكانيّ للدراسات الشرقيّة المسيحيّة ومطبعة الآباء الفرنسيسيين، ١٩٩٨ (من الآن فصاعدًا: المؤتمن، «ماد»، ١)، ص ٤٢–٤٣.

[2] G. GRAF, *"Das Schriftstellersverzeichnis des Abû Ishâq Ibn al- Assâl"*, Oriens Christianus NS 2 (1912) p. 205-226 (p. 210) يكتب في المتن، بعد ايراد اسم سويروس بن المقفّع: «القسّ الأجلّ الفاضل الشيخ الرشيد أبو الخير المتطبّب». غير أنّه في الحاشية رقم ٦ ينبّه Der ganze Name dieses Autors ist in B auf dem Rande nachgetragen und fehlt in L und Mai. : الترجمة: «اسم هذا المؤلِّف مكتوب كلّه في هامش بـ [مخطوط بيروت، رقم ١٠٩٨]، وينقص في لـ [مخطوط لندن شرقي ١٠٢٠] وماي [فهرس مخطوطات الڤاتيكان]». ويمكن الاعتقاد أنّ ناسخ مخطوط بيروت أو أحد القرّاء، وربّما شيخو نفسه، أضاف اسم الرشيد في الهامش. وقد أخطأ جراف بوضع معلومة واردة في الهامش في متن النصّ.

[٣] المؤتمن بن العسّال، «مجموع أُصول الدين ومسموع محصول اليقين» (دراسات شرقيّة مسيحيّة، أبحاث مفردة، ٧)، المجلّد الثاني: الأبواب ٢٠–٧٠. تحقيق الأخ وديع الفرنسيسكانيّ، القاهرة–القدس، مؤلّفات المركز الفرنسيسكانيّ للدراسات الشرقيّة المسيحيّة ومطبعة الآباء الفرنسيسيين، ١٩٩٩ (من الآن فصاعدًا: المؤتمن، «ماد»، ٢)، الأرقام ٥٦/ ٣٤–٧٢، ص ٣٣٨–٣٤٧.

الأجلّ الرئيس الحكيم الفاضل العالم العامل، الرشيد أبي الخير المتطبّب، المعاصر لمنشئ هذا الكتاب (أبقاه اللّه، وأبقى النفع بعلمه وتعليمه) مقالة في هذه المسألة [مسألة القضاء والقدر]، اختصرنا منها ما يأتي ذكره وبيانه، من الدليل العقليّ والشرعيّ». ثمّ يورد المؤتمن النصّ، وكلمات المؤتمن مهمّة لتأريخ حياة الرشيد، وسنعود إليها.

٣ بعد المؤتمن، كتب أبو البركات بن كبر (توفّى ١٣٢٠) عن الرشيد أبي الخير بن الطيّب، في الباب السابع المخصّص لمختلف كتّاب المسيحيّة في كتابه «مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة»[٤]، وذلك في سياق حديثه عن المؤلّفين الأقباط. ويحتلّ الرشيد الرقم ١٣ في تسلسل الأسماء، بعد: سويروس بن المقفّع، وميخائيل مطران دمياط، وبطرس أُسقف مليج، وأغاثون مطران حمص القبطيّ، وكيرلّس بن لقلق، وبولس البوشيّ، ويؤنّس أُسقف سمنّود، والمؤتمن بن العسّال، والصفيّ بن العسّال، ويوحنّا بن سويروس، وسمعان بن مقارة، وبطرس السدمنتيّ. ويأتي الرشيد، في قائمة أبي البركات قبل: ابن كاتب قيصر، والثقة بن الدهيريّ، والنشوء بطرس بن الراهب. يكتب أبو البركات عن الرشيد: «القسّ الرشيد أبو الخير المتطبّب. له مواعظ؛ وكتاب في أُصول الدين. وقيل: إنّه صنّف كتابًا ليردّ على كتاب ردّ لأحد المخالفين، فقصّر عن هذه المرتبة، ووقع في الملامة والعتبة، ورُمي بفساد الرأي في المعتقد». هذه الجملة الأخيرة، والمُصَدَّرة بكلمة «قيل» ألقت بظلال الشكّ حول الرشيد، وأدّت إلى مشاكل أدبيّة، منها نسب كتاباته لغيره، كما سنرى فيما بعد.

٤ كلمات أبي البركات، دون التعليق الأخير، ترجمها، سنة ١٦٧٧ (أي بعد أبي البركات بأكثر من ثلاثة قرون) الراهب الدومينيكانيّ فَنْسْليب، في كتابه الموضوع باللغة الفرنسيّة، بعنوان «تاريخ كنيسة الاسكندريّة»[٥].

---

[٤] أبو البركات بن كبر، «مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة»، الجزء الأوّل، القاهرة، مكتبة الكاروز، ١٩٧١، ص ٣٢٠.

[5] J.M. VANSLEB, *Histoire de l'Eglise d'Alexandrie*, Paris, 1677, p. 337: Rascíe abu-il-chéir, a fait 1. Des Exhortations. 2. Un Livre intitulé: Les fondaments de la Foi. 3. La refutation du Livre d'un Hérétique.

٥ بعد ذلك علينا أن ننتظر من جديد أكثر من قرنين، لكي نرى اسم الرشيد، في موسوعة رمزي تادرس المسمّاة «دائرة المعارف القبطيّة»، والتي توقّفت عند الجزء الأوّل[٦]. نقرأ في هذه الموسوعة: «أبو الخير المتطبّب هو القسّ الرشيد أبو الخير المتطبّب. ظهر أيّام أولاد العسّال، في القرن الثالث عشر للميلاد. وله مؤلَّفات، منها: كتاب المواعظ، وكتاب أُصول الدين. وقد ذكره فنسليب في مؤلَّفه».

٦ في نهاية القرن الماضي وبدايات هذا القرن، دخل الأب لويس شيخو ميدان الكتابة عن الأدب العربي المسيحيّ، واهتمّ أكثر من غيره بذكر مخطوطات الكتب وأماكن حفظها. وعن الرشيد كتب في مقالته «المخطوطات العربيّة في خزانة كلّيّتنا الشرقيّة»، سنة ١٩٠٦[٧]: «المصنَّف الأوّل الذي عنوانه درياق العقول في علم الاصول المعروف باصول الدين، تصنيف الاب الفاضل العالم القس ابي الخير ابن الطيب، وهذا المؤلِّف لم يمكنّا تحقيق زمانه ومعرفة أحواله، وممّا لا شكّ فيه أنّه كاتب قديم، بالدليل أنّ أبا البركات ذكره في جملة الكتبة النصارى، الذين سرد أسماءهم في جدوله، وهو يدعوه القسّ الرشيد أبا الخير المتطبّب [...]. والكتاب يدعى أيضاً في بعض النسخ كشف الاسرار الخفية عن الاسباب المسيحية».

٧ في وقت لاحق، في كتابه «المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة»، استطاع شيخو أن يقدّم معلومات أوفر، ولكنّه أخطأ بوضع الرشيد بين كُتّاب القرن الحادي عشر[٨]: «أبو الخير بن الطيّب. القسّ الرشيد المتطبّب اليعقوبيّ، كان في القرن الحادي عشر. له كتاب في أُصول الدين دعاه درياق العقول في علم الاصول، قسّمه إلى جملتين، تحتوي الجملة الأُولى ٢٤ فصلاً في المعتقدات النصرانيّة، والثانية خمسة فصول في الفرائض. منه نسختان في مكتبتنا الشرقيّة: الواحدة قديمة من القرن السادس عشر، والأُخرى حديثة منقولة عن

[٦] رمزي تادرس، «دائرة المعارف القبطيّة»، الجزء الأوّل، المنيا، مطبعة صادق، دن، ص ٥٠ .

[٧] لويس شيخو، «المخطوطات العربيّة في خزانة كلّيّتنا الشرقيّة»، «المشرق» ٩ (١٩٠٦) ص ٧٥٦، رقم ١٢٤.

[٨] لويس شيخو، «المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة»، بيروت، ١٩٢٤، ص ٢٠٠، رقم ٦١ وص ٢٣٢.

نسخة دير مار يوحنّا الصابغ في الشوير، سنة ١٨٩٧ (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٧٥٦). ومن الكتاب ثلث نسخ في مكتبة باريس (عدد ١٧٨ ـ١٨٠)، يقال في الأُولى إنّ المؤلّف انتهى من تأليفها في حمص سنة ١٣٦٤ لليونان (١٠٥٢م)[٩] ونسختان في اوكسفرد (Marsh. 649 et Hunt 362). وقد ذكره أبو البركات في لائحة كتبه Riedel, 1, 661 وسمّاه أبا الخير المتطبّب. ونسب إليه، ما خلا الكتاب في أُصول الدين، مواعظ لم نقف عليها». «أبو الخير بن الطيّب. من كتابه درياق العقول في علم الأُصول نسخة في مكتبة القسّ بولس سباط (EO, XXVI, p. 337, n. 47)».

٨ في الفترة نفسها تقريبًا نشر الأب بولس سباط السريانيّ الكاثوليكيّ فقرات من خاتمة كتاب الرشيد «ترياق العقول في علم الأُصول» في كتابه المسمّى «المُشَرّع»[١٠] مع تهذيب للنصّ. ثمّ أعاد نشر النصّ طبقاً لمخطوط في حوزته، في كتابه «مباحث فلسفيّة»[١١].

٩ سنة ١٩٣٣ نشر جراف دراسة عن كتابات الرشيد وكتابات أبي البركات[١٢].

١٠ في سنة ١٩٣٨ نشر الأب ميخائيل خزام القبطيّ الكاثوليكيّ[١٣] مقالة «ردّ على القائلين بالقضاء والقدر للرشيد»، في مجلّة «الصلاح»[١٤]، وهي

---

[٩] هذه المعلومة الخاطئة هي التي جعلت شيخو يضع كاتبنا في القرن الحادي عشر.

[١٠] بولس سباط، «المشرع»، القاهرة، ط٢، ١٩٢٤، ص ١٦–٢١.

[١١] بولس سباط، «مباحث فلسفيّة دينيّة لبعض القدماء من علماء النصرانيّة»، القاهرة، ١٩٢٩، ص ١٧٦– ١٧٨.

[12] G. GRAF, *"Zum Schrifttum des Abu 'l-Barakat und des Abu 'l-Hayr"*, Oriens .Christianus 30 (1933), p. 134-141

[١٣] حيث إنّ هذا الاسم يقابلنا كثيرًا نقدّم عنه بعض المعلومات: «وُلِد أديب صليب (الأب ميخائيل خزام) بكوم غريب من أعمال محافظة سوهاج أوّل أكتوبر سنة ١٩١٠. والتحق بالمدرسة الاكليريكيّة بطهطا يوم ١١ يناير ١٩٢٢. ثمّ أُرسِل في بعثة إلى كلّيّة انتشار الإيمان بروما. وحاز على شهادة في اللاهوت. وسيم كاهنًا في طهطا في أوّل سبتمبر سنة ١٩٣٥ على يد الأنبا مرقس خزام. كان مدرّسًا بالمدرسة الإكليريكيّة بطهطا، ثمّ طنطا. ونُقِل راعيًا بكنيسة مصر الجديدة. ورقد في الربّ يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠» بطرس سعدالله حنّا، «اليوبيل الماسي للكلّيّة الاكليريكيّة للأقباط الكاثوليك»، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٢٥ .

المقالة التي اختصرها المؤتمن في الباب السادس والخمسين من كتابه «مجموع أُصول الدين ومسموع محصول اليقين». وتسبق المقالة مقدّمة للناشر عن حياة الرشيد، يذكر فيها أنّ الرشيد كان «معاضدًا» للمؤتمن في وضع كتابه، ويشير كذلك إلى قول أبي البركات في الرشيد: «فهناك ابن كبر يدعوه أبا الخير المتطبّب، ويقول عنه إنّه ألّف كتابًا «في أُصول الدين» وآخر في الدفاع عن النصرانيّة، ولكن روساءه لاموه وخلعوه من وظيفته؛ لأنّه علّم تعليمًا لم يرقهم، فحسبوه مخالفًا للمعتقد. وقد يكون هذا الحرم سببًا في التشنيع على أبي الخير وشطب اسمه من مصنَّفاته». ومن الملفت للنظر هنا أنّ ميخائيل خزام لا ينقل نصّ أبي البركات بأمانه (لعلّه لم يطّلع عليه بل على ترجمة له)، ويقول أكثر ممّا يقول أبو البركات، الذي لا يتحدث عن «خلع من الوظيفة». ولكن استنتاج ميخائيل خزام الأخير مهمّ وصائب. ونقرأ كذلك في مقدّمة الناشر: «وهو [الرشيد] يذكر عن نفسه، في مقدّمة مؤلَّفه «درياق العقول» إنّه كان سكرتيرًا للشيخ تقيّ الدين عمر المظفّر القاضي الفضل، الذي كان واليًا على مصر، في عهد صلاح الدين من سنة ٥٨٩ إلى ٥٩٥ هجريّة، أي سنة ١١٩٨ إلى ١١٩٣ ميلاديّة». وفي نهاية المقدّمة يعد ميخائيل خزام بنشر مصنَّفات الرشيد، غير أنّنا لا نعرف له إلاّ المقالة المشار إليها. وأعتقد أنّ ميخائيل خزام هو أوّل مَن أشار إلى عمل الرشيد كسكرتير لتقيّ الدين عمر المظفّر، وهو أمر سنشكّك فيه.

١١ بعد ذلك بثلاث سنوات، ظهرت في روما رسالة دكتوراه، باللغة الفرنسيّة، للأب نفسه، ميخائيل خزام، عن «الرشيد أبي الخير بن الطيّب وأبي البركات بن كبر وفكرهما»[١٥]. في مقدّمة الكتاب، يفكّ الدارس الاشتباك بين شخصيّتَي الرشيد وأبي البركات، وهو اشتباك أوقعنا فيه نُسّاخ

---

[١٤] أبو الخير بن الطيّب، «ردّه على القائلين بالقضاء والقدر». نشر ميخائيل صليب خزام، «الصلاح» ٩ (١٩٣٨)، ص ٧٦–٧٨، ١٣١–١٣٧، ٣٢٣–٣٣٠.

[15] Michel KHOUZAM, *L'Illumination des intelligences dans la science des fondaments; synthèse de l'enseignement de la théologie copto-arabe sur la Révélation chrétienne au XIIe et XIVe siècles d'après les écrits d'Abu'l-Khair Ibn at-Tayyib et Abu'l-Barakat Ibn .Kabar*, Rome, 1941

مخطوطات فاتيكان ١٠٥، ١١٨، ١١٩ (ص ١٧ ـ٢٠)، ثمّ يقدّم نبذة عن حياة الرشيد وكتاباته (ص ٢٠ ـ ٢٢)، ومخطوطات هذه الكتابات (ص ٢٣ ـ ٢٨). وتخبرنا حاشية أنّ الكردينال تيسران E. Tisserant أعاد النظر في هذا القسم الأخير. وأخيرًا يذكر الدارس مصادر فكر الرشيد (ص ٢٨ -٣٢). ويكرّر ميخائيل خزام ما كان قد قاله من قبل بخصوص كون الرشيد معاضدًا للمؤتمن في تأليف «مجموع أُصول الدين» (ص ٢٠)، وكونه سكرتيرًا لتقيّ الدين عمر المظفّر القاضي. ويؤكّد الدارس أنّ الرشيد وضع مؤلّفاته قبل سنة ١٢٥٠، وعلى الأرجح حوالي سنة ١٢٠٠.

١٢ وقد واعتمد جراف ، في «تاريخ الأدب العربي المسيحيّ»، الذي ظهر سنة ١٩٤٧، على استنتاجات ميخائيل خزام، دون تمحيص، ولكنّه عرض مؤلّفات الرشيد بوضوح وبتفصيل أكثر[١٦].

١٣ ومن الأمور الملفتة للنظر والاستغراب أن الرشيد، باستثناء رمزي تادرس، في «دائرة المعارف القبطيّة»، غائب عن كتب المؤرِّخين الأقباط غيابًا كلّيًّا، حتّى المؤرِّخ المطّلع كامل صالح نخلة لا يذكره بين مشاهير كُتّاب القرن الثالث عشر[١٧].

١٤ من أواخر الدراسات دراسة، وإن لم تكن الأحسن، عن الرشيد، نجدها في «الموسوعة القبطيّة»، باللغة الانجليزيّة، بقلم فينسنت فريدريك[١٨].

---

16 G. GRAF, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur, 2 (Studi e Testi, 133)*, Città del Vaticano, 1947, p. 344-348.

١٧ كامل صالح نخلة، «سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندريّ»، الحلقة الأولى. البابا كيرلّس الثالث، وادي النطرون، مطبعة دير السريان، ١٩٥١، ص ١٠٨–١٢٥، يذكر «مشاهير الرجال في عصر البابا كيرلّس الثالث»، ولا نجد الرشيد بينهم. ولم يجهل كامل صالح نخلة مؤلّفات الرشيد، ولكنه نسبها لأبي البركات بن كبر، انظر: «تاريخ الأُمّة القبطيّة»، ٤. كتاب تاريخ وجداول بطاركة الإسكندريّة القبط وجدول عامّ جامع بين أقوال المتقدّمين، القاهرة، ١٩٤٣، ص ٥٦؛ «سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندريّ»، الحلقة الثانية، وادي النطرون، مطبعة دير السريان، ١٩٥٢، ص ٦٨. لم يستفد هذا المؤرّخ المطّلع لا من شيخو، رغم أنّه يذكره ولا من جراف، ولا من رمزي تادرس الذي كتب قبلهما، ولا من أبي البركات نفسه الذي ينسب له كتب الرشيد.

18 V. FREDERICK, *"Abu al-Khayr al-Rashid Ibn al-Tayyib"*, The Coptic Encyclopedia, vol. 1, p. 20-21.

ويعتمد الدارس على جراف، ويضع كتابات الرشيد بين سنة ١٢٠٤ وسنة ١٢٤٥، ويؤكّد أن الرشيد وضع كتابه «ترياق العقول في علم الأُصول» استجابةً لطلب الوزير تقيّ الدين. ويكرّر أنّ الرشيد كان معاونًا للمؤتمن في وضع مجموع أُصول الدين.

١٤ آخر دراسة وضعناها نحن باللغة الفرنسية[١٩]. وهناك دراسة موجزة باللغة الإنجليزيّة تعتمد على مقالتنا (قبل نشرها) وردت في «القاموس التاريخي للكنيسة القبطية»[٢٠].

(٢) حياة الرشيد

١٥ بعد أن استعرضنا موقع الرشيد من المصادر والمراجع، نحاول إلقاء الأضواء على حياته، اعتمادًا على مؤلَّفاته وعلى المصادر المذكورة، ونناقش استنتاجات ميخائيل خزام وجراف.

١٦ من شهادتَي المؤتمن وأبي البركات ومن عناوين بعض المخطوطات، نعرف أنّ الرشيد كان كاهنًا وطبيبًا. ولكن لا يرد له ذكر، لا في «سير البطاركة»[٢١]، الذي يذكر عدّة أسماء لأشخاص لعبوا أدوارًا في الأحداث

---

[19] Wadi A., *"Al-rašīd Ibn Al-Tayyib et son Tiryāq"*, Studia Orientalia Christiana .Collectanea .28 (1997), p. 271-284

[20] Gawdat Gabra, *"Al-Rashid Abu Al-Khayr Ibn Al-Tayyib"*, The Historical Dictionay of the Coptic Church, American University in Cairo Press, Cairo 2008, p. 24.

[٢١] عن الأحداث المرتبطة بسير البطاركة في القرن الثالث عشر (ولاسيّما سيرة كيرلّس الثالث) لدينا روايتان: الأُولى بقلم يوحنّا بن وهب بن يوحنّا بن يحيى بن بولس، والثانية بقلم يوساب أُسقف فوّة، وكان الاثنان معاصرين للأحداث التي يكتبان عنها؛ انظر: «تاريخ بطاركة الكنيسة المصريّة»، الجزء الرابع. كيرلّس الثالث ابن لقلق (مطبوعات جمعيّة الآثار القبطيّة، قسم النصوص والوثائق، ١٤). نشر أنطون خاطر وازولد بورمستر، القاهرة، ١٩٧٤؛ يوساب، تاريخ الآباء البطاركة. نشر الأنبا صموئيل، القاهرة، دن. ويذكر الاثنان عدّة شخصيّات معاصرة للأحداث، لا نجد بينها اسم الرشيد.

الدينيّة للقرن الثالث عشر؛ ولا في التواريخ المدنيّة[٢٢]، أو الطبيّة، لا سيّما كتاب القفطيّ (ت ١٢٤٨)[٢٣].

١٧ بقراءة كتاب «ترياق العقول في علم الأُصول» نستطيع تحديد الفترة، التي لم يكتب الرشيد قبلها. في هذا الكتاب يذكر أبا حامد الغزاليّ وكتابه «الردّ الجميل»[٢٤] (انظر مخطوط أوكسفورد، هنت ٢٤٠، ورقة ٧٢ظ، ٧٥ظ)؛ وموسى بن ميمون وكتابه «دلالة الحائرين»[٢٥] (انظر المخطوط نفسه، ورقة ٨٠ ظ)؛ وفخر الدين بن الخطيب الرازيّ وكتابه «المعالم في أُصول الدين»[٢٦] (انظر المخطوط نفسه، ورقة ٨١ ظ).

١٨ وقد وُلِد الغزاليّ، سنة ١٠٥٩، في طوس (خرسان)، وتوفّى فيها، سنة ٥٠٥ هـ/١١١١، وقد زار القاهرة مرّة. ووُلِد موسى بن ميمون اليهوديّ في قرطبة (كوردوفا) بالأندلس، سنة ١١٣٥، وعاش مدّة في القاهرة، وعمل كطبيب في خدمة صلاح الدين الأيّوبيّ، ومات سنة ١٢٠٤، ودُفِن في طبريّة فلسطين. أمّا فخر الدين بن الخطيب الرازيّ فقد وُلِد في الري، سنة ١١٤٩، وتوفّى في هراه سنة ١٢١٠، ولم يأت إلى مصر أبدًا، وله عدّة مؤلّفات فلسفيّة. وإذا وضعنا في الاعتبار أنّ هذه المؤلّفات احتاجت لبعض الوقت، لكي تصل إلى مصر، يمكن القول أنّ الرشيد كتب بعد سنة ١٢١٠.

---

[٢٢] من المؤرّخين الذين يهتمّون بالتاريخ المدنيّ المؤرّخ المسيحيّ المكين جرجس بن العميد، «أخبار الأيّوبيين»، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينيّة، دت؛ وقد استخدمه المؤرّخ المسلم القريزيّ .

[٢٣] جمال الدين القفطيّ، «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، القاهرة، مكتبة المتنبيّ، دت؛ انظر أيضًا: سلام شافعيّ، «أهل الذمّة في العصر الفاطميّ الثاني والعصر الأيّوبيّ»، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢، ص ٩٨-١١٤.

[٢٤] ذِكْر الرشيد لكتاب الغزاليّ شهادة ثمينة في صالح أُبوّة الغزاليّ لهذا الكتاب. وللكتاب أكثر من نشرة: Al-GHAZALI, Réfutation excellente de la *Divinité de Jésus-Christ d'après les Evangiles. Ed. et trad.* de R. CHIDIAC, Paris, 1939؛ «الردّ الجميل للإمام الغزاليّ». تحقيق عبد العزيز عبد الحقّ حلمي، القاهرة، مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر، ١٩٧٤؛ «الردّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل لحجّة الإسلام الإمام أبي حامد الغزاليّ». تحقيق محمّد عبدالله الشرقاويّ، بيروت، القاهرة، ط٣، ١٩٩٠.

[٢٥] انظر: موسى بن ميمون، «دلالة الحائرين». نشر حسين آتاي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينيّة، دت .

[٢٦] انظر: فخر الدين الرازيّ، «أُصول الدين وهو الكتاب المسمّى معالم أُصول الدين». نشر طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، ١٩٨٤.

١٩ ويجب أن ننوّه أنّ الصفيّ بن العسّال وأخاه المؤتمن يذكران الرازيّ كثيرًا في كتاباتهما[٢٧]. وقد كتب الأوّل في الثلاثينات والأربعينات من القرن الثالث عشر، وكتب الثاني عمله الأساسيّ بعد الستّينات من القرن نفسه.

٢٠ كان الرشيد كاهنًا وطبيبًا (مغمورًا)، ولكن هل عمل ككاتب (أو سكريتير) لتقيّ الدين عمر المظفّر القاضي، كما ذكر ميخائيل خزام، وتبعه جراف وغيره؟ رجّح خزام ذلك بناءً على اعتقاد أنّ الرشيد يذكر ذلك في مقدّمة كتابه «ترياق العقول في علم الأُصول». غير أنّ الدارس لا يحدّد في أيّ مخطوط من مخطوطات الكتاب ورد ذلك. وفي الواقع مخطوطات الكتاب، وقد اطّلعت على صور العديد لها، لا تذكر أيّ اسم، مقدَّم له الكتاب.

٢١ وهوذا النصّ الذي يهمّنا، في مقدّمة «ترياق العقول في علم الاصول»، حسب مخطوط أوكسفورد، هنت ٢٤٠ (ورقة ٤٢جـ-٤٢ظ)، وهو لا يختلف عن باقي المخطوطات إلاّ في كلمات قليلة: «وبعد! فإنّه، لمّا رسم لي سيّدي ومولاي (أطال اللّه بقاءه، ولا زالت فكراته في اكتناز الخيرات يانعة، وجيوش هماته لعساكر الخطوب قارعة، وبواعث غرماته لفوائد عقود الحِكَم جامعة، وبسيوف زهادته لأعناق اللذات قاطعة، ولا برح سراج علمه منير الأفهام، ومصباح فهمه ضياء للسالكين في الظلام)، بأنْ أجمع له مختصَرًا في أُصول الدين، يشتمل على عقائد فرق النصرانيّة، مبرهنًا عن أقاويلهم في الحقيقة المسيحيّة، وأنْ أُجيب له عن فصول سأله عنه بعض السادة المسلمين، مستفهمًا بها عن ما تقوله النصارى من توحيد الجوهر، وتثليث الأقانيم، وكيف حسن عندهم أنْ يصفوا المسيح بالإلهيّة، وشواهد إنسانيّته ظاهرة جليّة. فأمتثلت

---

[٢٧] يذكر الصفيّ الرازيّ عدّة مرّات في كتاب «الصحائح في جواب النصائح» (في نشرة وديع غير المطبوعة: ٢/٢٠، ٢٥١، ٣/١١، ٣٠. وله مختصر مفقود لكتاب «الأربعين» وردّ على المسألة التاسعة فيه (انظر: الأخ وديع الفرنسيسكانيّ، دراسة عن المؤتمن بن العسّال وكتابه مجموع أُصول الدين وتحقيقه» (دراسات شرقيّة مسيحيّة، ٥) = = القاهرة–القدس، مؤلّفات المركز الفرنسيسكانيّ للدراسات الشرقيّة المسيحيّة ومطبعة الآباء الفرنسيسيين، ١٩٩٧، ٢/ ٤٢، ص ١١٤–١١٥). وكذلك المؤتمن يذكر الرازي عدّة مرّات ويستعمل كثيرًا من كتاباته (انظر: المؤتمن، «ماد»، ١، ٥/ ١٠–٢٩، ص ١١٦–١٢٠؛ وكذلك WADI A., "Les Sources du 'Magmūʿ Uṣūl al-Din' d'al-Mu'taman Ibn al-ʿAssāl", *Parole de l'Orient* 16 (1991), p. 227-238 p. 235.

مرسومه المطاع، وبذلت في مطاوعته جهد المستطاع، وقسّمت المطلوب إلى جهتين وخاتمة».

٢٢ ومن المعتقَد أنّ ميخائيل خزام اعتمد في تأكيده على مخطوطات فاتيكان ١٠٥، و١١٨، و١١٩؛ وليس فيها هي أيضًا أيّ اسم. من جهة أُخرى تعبير «سيّدي ومولاي» يمكن أن يشير إلى شخص مسيحيّ، صاحب منصب، أو صاحب فضل.

٢٣ ننتقل الآن إلى مسألة أُخرى تحتاج إلى حسم، وهي: هل كان الرشيد «معاضدًا» للمؤتمن في كتابه «مجموع أُصول الدين ومسموع محصول اليقين» (وهذه قراءة ميخائيل خزام وجراف وغيرهما)، أو كان «معاصرًا» للمؤتمن (وهذه قراءتي) ؟

٢٤ في اختيار قراءة «معاضد»، يستند ميخائيل خزام على مخطوط القاهرة، البطريركيّة القبطيّة، لاهوت ١٠١، ورقة ٤جـ ـ ٢٠٧جـ (وهذا المخطوط منسوخ سنة ١٨٣٤). وفي الواقع ليس هذا المخطوط وحده هو الذي يعطي قراءة «معاضد»، بل أيضًا مخطوطا: برمِنجهام، مِنجانا عربي مسيحيّ ٥٤ب (نسخ ١٨٨٠)، والقاهرة، المتحف القبطيّ، لاهوت ٣٩٩ (نسخ ١٩٠٤). ومن الملاحظ أنّ هذه المخطوطات تعود إلى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين. وهي من العائلة ب في مجموع مخطوطات كتاب المؤتمن، وهي العائلة الأحدث والأقلّ دقّة وأمانة في نقل نصّ المؤتمن.

٢٥ أمّا مخطوطات: باريس ٢٠٠ (نسخ ١٦١٣)، وبرلين (نسخ ١٦٥٥)، والقاهرة، البطريركيّة القبطيّة، لاهوت ٣٠٨ (نسخ ١٩٣٠)، فتورد قراءة «معاصر». وقد اخترنا هذه القراءة في نشرتنا ووضعناها في المتن، وأعطينا في حاشية القراءة الأُخرى[٢٨]. وسبب اختيارنا هو أنّ المخطوطات الأخيرة هي الأقدم والأوثق، وتتبع العائلة ألف.

[٢٨] انظر: المؤتمن، «ماد»، ٢، ٥٦/٣٤ وحاشية ٢٤٦، ص ٣٣٨ .

٢٦ بجانب ذلك، لو كان الرشيد معاونًا للمؤتمن في كتابه، لكان هذا الأخير قد ذكر ذلك صراحةً في المقدّمة، وفي الباب الأوّل (ولا يرد فيه اسم الرشيد بالمرّة)، ولكان استعمل كتابات أُخرى له؛ والمؤتمن ليس من النوع الذي يسكت عن ذكر مراجعه، أو مَن يساعده في عمله؛ وأغلب ما يورده في كتابه يرفقه باسم صاحبه وبعنوان كتابه.

٢٧ على كلّ حال، بغضّ النظر عن هذه الاشكاليّة، فسواء كان الرشيد «معاضدًا» للمؤتمن، أو «معاصرًا» له، فهذا يدلّ على أنّ الرشيد كان على قيد الحياة حوالي سنة ١٢٦٥، وهو التاريخ المحتمل لوضع «مجموع أُصول الدين ومسموع محصول اليقين»[٢٩].

٢٨ ويذكر المؤتمنُ الرشيدَ بألقاب تدلّ على الاحترام والتقدير، ممّا يعني على الأرجح أنّه كان شخصيّة دينيّة بارزة، في ذلك الوقت، ولم تكن هناك مشاكل أو شكوك حول عقيدته، كما ذكر أبو البركات بن كبر فيما بعد.

٢٩ لقد وضع ميخائيل خزام وجراف وغيرهما تاريخ ميلاد الرشيد في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وازدهاره الأدبيّ في النصف الأولّ من القرن الثالث عشر، ولكن بعدما قلناه في الكلمات السابقة، نميل إلى وضع ميلاد الرشيد في النصف الأوّل من القرن الثالث عشر وازدهاره الأدبيّ في النصف الثاني منه. ولعله حتّى الستّينيات من ذلك القرن لم يكن قد وضع من مؤلّفاته إلاّ «الردّ على القائلين بالقضاء والقدر». ولا نعرف تاريخ وفاة الرشيد.

يُتبع

[٢٩] انظر: الأخ وديع الفرنسيسكانيّ، «دراسة» ٥/ ١١-١٤، ص ١٨٢-١٨٤؛ SAMIR Kh., "Date de composition de la Somme théologique d'al-Mu'taman b al-'Assāl", *Orientalia Christiana Periodica* 50 (1984), p. 94-106.